Journal Of the Iraqia University (73-8) June (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

جمالية شكوى البعد في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي الأندلسي " دراسة جمالية في فضاء شعرية العصر الأندلسي"

عمر كامل محمد الكبيسي طالب دكتوراه في جامعة طهران، مجمع الفارابي، قسم اللغة العربية وآدابها
omarkamelalkubaisy@gmail.com
جهاد فيض الـإسلام عضو الهيئة التعليمية، بجامعة طهران
feyzoleslam@ut.ac.ir

The aesthetics of complaining about distance in the poetry of Yusuf ibn Harun al-Ramadi al-Andalusi: "An aesthetic study in the space of Andalusian poetry".

الملخص:

يتناول البحث ظاهرة شكوى البعد في شعر الرَّمادي دراسة جمالية، حيث يعبر الشاعر عن معاناته من الفراق والغربة، والفقر، والنفاق الاجتماعي، التي تعرض لها الشاعر والخيبات التي واجهها، وبعد التحقق من أشعاره وجد الباحث أن شكوى البعد ثمانية عشر بيتا، ويهدف البحث إلى معرفة ما إذا كانت شكوى البعد في شعره مجرد انعكاس لحالته الشخصية أم أنها تعبر عن قضايا أوسع تخص المجتمع الأندلسي، ومن هذا وجد الباحث أبرز مظاهر شكوى البعد في شعر الرَّمادي البعد العاطفي ويظهر في أشعار الحنين والشوق للحبيبة، حيث يصور الفراق كمعاناة نفسية مستمرة، كذلك البعد الاجتماعي ويشتكي الشاعر من النفاق الاجتماعي، مما جعله يشعر بالغربة حتى بين أهله، وكذلك البعد الفلسفي يرى الرَّمادي أن الفراق ليس مجرد تجربة عاطفية، بل هو قدر محتوم يلاحق الأنسان، والتعبير النفسي يستخدم صورًا شعرية قوية مثل تشبيهه للبعد بأنه أسرع من خفقان القلب ليعكس شدة الفراق والمعاناة، كما تتجسد في هذا البحث السمات البلاغية والصور الفنية ويعتمد على الاستعارات والتشبيهات ليجسد إحساسه بالفقدان والتيه، كما وظف الإيقاع الموسيقي ويستخدم أوزانا وقوافي تعكس الحزن والاضطراب، كما يكرر حروفًا معينة مثل (القاف، الطاء، الخاء) لتعزيز الإحساس بالحزن. كانت شكوى البعد عند الرَّمادي ليست مجرد موضوع شعري، بل تجربة إنسانية متكاملة عبر عنها بإبداع، مما جعلها نموذجًا بارزًا للأدب الذي يعكس المعاناة الفردية ضمن السياق الاجتماعي، ولم يكن يعبر عن حالته الشخصية فقط، بل سلط الضوء على أزمة أوسع يعاني منها المجتمع الأندلسي في ذلك الزمن.

الكلمات المفتاحية: الشعر الأندلسي، الشكوى، البعد، يوسف بن هارون الرَّمادي.

Abstract:

This research examines the phenomenon of complaining about distance in Al-Ramadi's poetry, a rhetorical and musical study. The poet expresses his suffering from separation, alienation, poverty, and social hypocrisy, as well as the disappointments he faced. After examining his poems, the researcher found that the complaint about distance consists of eighteen verses. The research aims to determine whether the complaint about distance in his poetry is merely a reflection of his personal condition or whether it expresses broader issues related to Andalusian society. From this, the researcher found that the most prominent manifestations of complaining about distance in Al-Ramadi's poetry are the emotional dimension, which appears in poems of longing and yearning for the beloved, where separation is depicted as a continuous psychological suffering. Furthermore, the social dimension is also evident, as the poet complains about social hypocrisy, which has made him feel alienated even among his family. Furthermore, the philosophical dimension is also evident, as Al-Ramadi sees separation as not merely an emotional experience, but rather an inevitable fate that haunts man. Psychological expression uses powerful poetic imagery, such as his comparison of distance as faster than the heartbeat to reflect the intensity of separation and suffering. This research also embodies rhetorical features and artistic imagery, relying on metaphors and

similes. To embody his sense of loss and disorientation, he employed musical rhythm and used meters and rhymes that reflected sadness and turmoil, repeating certain letters such as (q, t, kh) to enhance the sense of sadness. For al-Ramadi, the complaint of distance was not merely a poetic theme; it was a complete human experience, expressed creatively, making it a prominent model of literature that reflects individual suffering within a social context. It did not merely express his personal state, but also shed light on a broader crisis that Andalusian society was experiencing at that time Keywords: Andalusian poetry, complaint, distance, Yusuf ibn Harun al-Ramadi.

المقدمة:

أن الشعر العربي الأندلسي قد فاق جميع العصور العربية وقد برز فيه شتى الأفكار والعلوم وأن الشعر في ذلك العصر قد تسابق عليه الشعراء ليخرج كل واحد منهم بأحسن القول وأحسن الأشعار، وأن الشعر العربي مرآة تعكس صورة الحياة الأنسان وتعكس صورة حياة العرب الدينية والسياسية والاجتماعية فهو الشاهد العدل والحجة القاطعة، وأصح علم عندهم؛ لأنه ديوان علمهم كما قال عمر الخطاب: (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه)(١)، وهذا يدل على أن الشعر مفتاح العرب في كل أمر، ومن ذلك أيضا قول ابن عباس: (إذا قرأتم شيئا من كتاب الله تعالى ولم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فأن الشعر ديوان العرب)(٢)، وعلى هذا أن الشعر والشعراء كانوا يتغنون بكل ما يدزر حولهم وفي حالهم، ومن ذلك الشعر الشكوى التي لا تفارق كل شاعر وكل شعر فالشكوى موجودة عند اغلب الشعراء بل أنهم جميعا موجود في أشعارهم الشكوى ومن تلك الشكوى أما تكون من حبيب أو من صديق أو من خيانة أو من تأسف على شيئا ما، وفي ذلك نبينا يعقوب عليه السلام فقال: (أنما اشكو بثي وحزني إلى الله)(٣)، ومن ذلك أيضا شكوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حين قال: (اللهم أني اشكو اليك ضعف قوتي وحيلتي..) (٤)، ثم يأتي من بعد الأنبياء في الشكوى هم الشعراء فهناك منهم من عبر الإنسانية وهناك منهم من بالغ بالشكوى، والشعراء لسان حال المجتمع فإذا وجدوا خيما تحرك لسانهم بشعر الشكوى، وهذا الشعر يكون صادق وأدق التعبير عما يعتلج في نفوسهم وأوقع اثرا، لطالما شدني هذا النوع من الشعر اردت أن أروي ضمأ نفسي، ولا سيما في شعر يوسف بن هارون. يشكل هذا البحث محاولة للوقوف على ظاهرة الشكوى وأنماطها من خلال أشعار يوسف بن هارون الرَّمادي وكيفية تطرق إلى هذا الموضوع تفهم هل كأن هذا الموضوع مجرد فكرة عابرة خطرت ب ذهنه أم كأن تدعمها الأساس الفكرية أو الاجتماعية أو الشخصية أو غيرهاوهنا تظهر أهمية هذه الدراسة، والتي تهدف لإظهار تجليات شكوى البعد في أشعار الرَّمادي، من خلال تحليل بلاغي يُظهر الطاقات التعبيرية و التي تكمن في لغته الشعرية، و يُلقي الضوء على الأساليب البديعية و البيأنية التي استند إليها الشاعر في تجربته المؤلمة.

(٢) أهمية الموضوع وأهدافه:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى عدّة اعتبارات:قلة الدراسات التي تناولت شعر الرَّمادي من زاوية بلاغية تحليلية.مركزية موضوع البُعد والحرمان في ديوانه، خاصة في إطار الشعر الأندلسي.الإسهام في إبراز جمالية التراكيب والصور البلاغية التي وظفها الشاعر.وتهدف هذه الدراسة إلى:تحليل نماذج مختارة من شعر الرَّمادي تحليلاً بلاغيًاالكشف عن خصائص الشكوى البلاغية عنده.بيان العلاقة بين التجربة الشعورية والأسلوب التعبيري في شعر البُعد.

(٣) مشكلة البحث وأسئلته:

تتمثل إشكالية البحث في السؤال الآتي:كيف تتجلّى شكوى البُعد في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي، وما الخصائص البلاغية التي وظّفها الشاعر لتصويرها؟وينبثق عن هذه الإشكالية عدد من الأسئلة الفرعية:ما الخصائص الفنية والوجدانية لشكوى البُعد في شعر الرَّمادي؟كيف استخدم الصورة البيانية في التعبير عن معاناته؟ما دور المحسنات البديعية في تكثيف الشعور بالشكوى؟كيف أسهم الإيقاع الشعري في تشكيل التجربة الوجدانية؟

المبحث الأول: لمحة موجزة عن الشاعر الرَّمادي.

يوسف بن هارون الرَّمادي حياته و شعره:ينتسب أبو عمر وقيل أبي جنيش يوسف بن هارون الرَّمادي إلى قبيلة كندة، وترجع نسبة الرَّمادي إلى رمادة بالمغرب التي كأن يسكنها أحد أجداده٥، تتلمذ صناعة الأدب على يد يحيى بن هذيل٦، وروى عن أبي علي القالي كتابه «النوادر»٧ سجنه الخليفة الحكم المستنصر بالله مع بعض شعراء في شعر ظهر في ذم للسلطأن، وفي السجن كتب كتابه «الطير» الذي وصف فيه كل طير. وخرج من سجنه في عهد الخليفة هشام المؤيد بالله. وقد نقل ابن عبد البر جأنبًا من أشعاره في بعض مؤلفاته٨، توفي يوسف بن هارون الرَّمادي عام ٤٠٣ هـ في اليوم الموافق ليوم العنصرة٩.امتازت أشعاره بالرقة و الوجدانية، مع توجهه بشكل واضح إلى الغزل سواء الغزل الحسي أو الغزل العذري، وكأن أسلوبه الشعري يجمع بين السبك القوي و التصوير الدقيق، مع وجود العاطفة بشكل جليّ وظاهر، وضمت دواوينه مواضيع مثل:

اللوعة، الفراق، الحنين، الشكوى، البُعد١٠، وعلى الرغم من الكم القليل من الأشعار التي وصلتنا، فأن الأشعار التي بين أيدينا تبيّن لنا شاعراً يتصف بالنضوج الفني و التجربة العميقة، متقن للصياغة البلاغية و يستغلها لنقل أوضاعه النفسية بشكل دقيق.

المبحث الثاني: مفهوم البُعد وتجلياته الشعرية:

تمهيد:البعد في الشعر لا يكون أنفصالاً مكانياً فقط، بل هو أحد الرموز لفقد عاطفي وعدم الأتصال مع الوجدانية وعدم الشعور بالأمان الداخلي، وقد استغل الشعراء هذا المعنى لإظهار التوتر بين العشاق، والتأكيد على تأثير الفرقة في النفس واللغة.والشاعر الرَّمادي في هذا المجال عالج تجربة البعد بمجموعة من الإجراءات والتقنيات البلاغية التي تظهره وكأنه يتوسل بالصورة ويتأمل بشكل باطني على ما يشعر به معاناة، وقام بجعل الحروف وكأنها مسكنات لآلامه.الخصائص الأسلوبية لشكوى البعد في الشعر العربي:

١)- تكثيف الصور الحسية والمعنوية:يقوم الشاعر باستثمار الصور التي تنشأ بسبب البعد والقرب والغياب والحضور كقوله:

كَأن النَّوى لَيْثٌ أُصِيبَ بأَشْبُلٍ رأى ثَارَه بين الحَشَا والحيازم١١

وفي هذا التركيب تستثمر المفارقة في تصوير المعاناة التي تنتج بسبب الحنين.

٢)- الحضور القوي للضمير الشخصي:حيث تكثر صيغ المخاطبة المباشرة في شكاوى البعد، واستخدام صوت الذات الشاعرة من خلال الضمائر (أنا، قلبي، دمعي....) وهذا يدل على إعلاء شأن التجارب الذاتية.

٣)- التكرار والإيقاع الوجداني:تستخدم شكوى البعد التكرار اللفظي كأنها وسيلة بلاغية تؤكد الإحساس بالفراغ والحاجة كتكرار كلمات مثل بعد أو شوق أو هجر، وقد أشار تمام حسن إلى أن التكرار وسيلة لإعادة تدوير الألم١٢.

٣)- البعد وتحولات السياق الحضاري:لا نستطيع قطع دلالة البعد في الشعر الأندلسي عن السياق الحضاري والسياسي الذي يتشكل فيه، فالأندلس قد شهدت تقلبات سياسية واحتكت بالثقافة الأوروبية، وهذا ساهم بنشوء إحساس الضياع والاغتراب عند الشاعر على المستوى العاطفي والاجتماعي ١٣.فالحب عند بعضهم كأن يمارس بقيود اجتماعية تدفع الشاعر إلى التعبير بالكناية والتلميح وليس بالتصريح، وأشار عبد العزيز عتيق إلى أن القيود الاجتماعية جعل الشعراء يذهبون إلى التعابير الرمزية في الحب والمكابدة وكأن البعد أحد هذه التعابير والرموز التي تدل على المفارقة والحرمان ١٤.وهكذا تغير البعد وأصبح صورة مركبة من مزيج بين الألم الذاتي والقلق الحضاري، وقد ظهر في شعر ابن خفاجة وابن حمديس والرَّمادي الذي كان شعره يغلب عليه طابع التذمر من البعد وقساوته دون أن يجد حلاً لهذا المعاناة.ويؤكد عمر فروخ أن الشعر الأندلسي يحوي في جوهره صوتاً ضعيفاً نتيجة الحزن الحضاري الذي يعبر عن الأنفصال عن الذات أو عن المحبوب أو عن الوطن، فأصبح البعد نظام دلالي لا ينفصل عن أزمة الوعي الأندلسي نفسه ١٥.

المبحث الثالث: خصائص شكوى البعد في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي:

تمهيد:يعتبر البعد بوصفه تجربة شعورية وجدانية وكأنه أحد النسق المنتظمة التي تكررت في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي، والذي لا يظهر بوصف أحد الحالات الطارئة بل يتخذ موضوع شعري يرتبط بالعاطفة، فشكوى البعد في شعره لا تكون فقط حسرة من غياب الحبيب وأنما خطاب شعري مليء بتوترات تؤثر في الصور من خلال الإيقاع والدلالة

١)- البعد كموضوع أساسي في التجربة الغزلية:البعد مكانة أساسية في شعر الرَّمادي الغزلي ويظهر بوصف القلق وكأنه حالة شعورية، والشاعر الأندلسي لم يصف الغياب كحادثة زمنية بل صورها كأنه جرح دائم يتكرر في نفس العاشق ويقوم بإعادة تشكيل علاقته مع حبيبته والعالم ١٦.والشاعر الرَّمادي قد استوحى من الإرث القديم في الشعر العربي الشكوى من البعد وأعاد تشكيلها من خلال التخيل والصور الرقيقة، حيث اقترب من الكلام الحزين الصامت، وابتعد عن التراكيب الخطابية البسيطة، وهذا يدل على عيش الشاعر بحالة أنفصالية داخلية عن نفسه من جهة وعن حبيبته من جهة أخرى ١٧.

٢)- ثنائية البعد والقرب – توتر دائن في خطاب الشاعر:يقوم خطاب شكوى البعد في شعر الرَّمادي على ثنائية متوترة بين القرب والبعد، كونهما حالتين متعاكستين والتقاؤهما يسبب توتر شعري له تأثير على اللغة والصور والمواقف.والبعد عند الرَّمادي لا يمكن فهمه بل هناك ما يقابله بالأمل بالقرب واللقاء، والبعد يكون دائماً صراعاً بين الرغبة والحنين وعلى هذا الصراع تبنى القصيدة على طاقة وجدانية تتحرك بين أطراف متعاكسة.

وأكد النقاد أن الشعراء الأندلسيين قد اعتمد على هذه الثنائية وهذا يعود إلى طبيعة الشعر الغزلي حيث يتخذ الغياب دوراً في تفعيل المشاعر ١٨.

٣)- زمن البعد – الامتداد الشعوري عبر الوقت:يعتبر الزمن أحد المكونات الأساسية في بنية الشكوى من البعد في شعر الرَّمادي، حيث لا يقوم بوصف البعد كأنه حدثاً طارئاً بل حالة تقوم بإرهاق الذات عبر الزمن وتمنح الغزل طابعاً حزيناً.فالرَّمادي لا يصف البعد وكأنه مسافة بين الأماكن

بل قام باستخدام كلمات من الزمن مثل الصباح والليل والأيام والدهر لتؤكد ثقل البعد على النفس، وتكرار هذه الكلمات يعطي القصائد الامتداد الوجداني، ويجعل الغياب لا ينتهي بل يزداد كلما طال ١٩.

٤)- نبرة الشكوى – بين التوسل والتعالي تتميز الشكوى من البعد في شعر الرَّمادي بتنوع نبرتها العاطفية فلا تكون في طريق واحد بل تتحرم بين التوسل والأنكسار من جهة وبين التعالي والكبرياء من جهة أخرى، وهذا يعكس تعقيد الحالة التي يقوم الشاعر بالتعبير عنها.

وتظهر بعض الأماكن في بعض القصائد بأن الشاعر الرَّمادي يكون منكسراً ويوضح عجزه أمام بعد الحبيب ويطلب الوصل والتحنن، وفي أماكن أخرى يتحوّل خطابه إلى أحد أشكال التعالي والكبرياء ويقوم بتوجيه اللوم إلى حبيبته مما يخلق توازن بين الأنفعال والتماسك النفسي٢٠.

٥)- استحضار صورة الحبيب الغائب:أبرز مظاهر الشكوى من البعد في شعر الرَّمادي هو استحضاره لصورة الحبيب الغائب بشكل بصري وشعوري، ليصبح الشخص الغائب حاضراً في النص، فالبعد لا يعني محو الحبيب من الذاكرة بل يقوم بتفعيل طريقة التخيل وتجعل الحبيب شخصية حاضرة تقوم بمحاصرة الشاعر في كل لحظاته عندما يكون وحيداً.وقد أكد الباحثين بأن الشعراء قد منحوا الخيال سلطة واسعة حيث قاموا بإعادة خلق الحبيب الغائب في ذهنهم ومخيلتهم وأصبح غيابه أكثر جمالاً من وجوده في الواقع ٢١.

٦)- أدوات التعبير البلاغي عن البعد:لا يكتفي حضور البعد في شعر الرَّمادي على المستوي الشعوري فقط بل يتجسد ذلك من خلال أدوات وأساليب بلاغية تتنوع بين الاستعارات والكنايات والتشابيه والأطباق والمفارقة، مما يعطي التجربة صورة تصويرية فنية لها تأثيرها العاصفة.حيث يقوم الشاعر باستخدام الطلاق بين القرب والبعد والليل والنهار والوصل والهجر لتزيد من التوتر الوجداني، كما يستخدم الاستعارات للتأكيد على البعد في صفة السيف أو الطريق أو العدو والتي تعطي بعداً يتصف بالحيوية ٢٢.وتساهم هذه الوسائل البلاغية بتحويل الشكوى من التعبير عن الألم إلى فنون لغوية تعتمد على التصوير والتشكيل.أسباب شكوى البعد في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي:شكوى البعد تنبع عادةً من مشاعر الفقد، الحنين، أو الألم العاطفي الناتج عن غياب شخص عزيز أو الابتعاد عن مكان مألوف، أو الاشتياق حين يبتعد شخص نحبه، نشعر بالفراغ العاطفي ونشتاق لوجوده، وكذلك الاعتياد والتعلق قد يكون الشخص أو المكان جزءًا أساسيًا من حياتنا، وفجأة نجد أنفسنا بدونه، الخوف من النسيان نخشى أن يتلاشى وجودنا في حياة من ابتعدوا عنا أو أن تتغير العلاقة معهم، الوحدة البعد قد يجلب إحساسًا بالعزلة، خاصة إذا كان الشخص المُفتَقَد مصدرًا للدعم، عدم القدرة على التواصل سواء بسبب المسافات الجغرافية أو العوائق العاطفية، فأن صعوبة التواصل تزيد من ألم البعد، الذكريات المرتبطة الأماكن، المواقف، وحتى الأشياء الصغيرة قد تذكّرنا بالأيام التي كنا فيها مع من نفتقدهم، مما يزيد من الشكوى، واللوعة، والتحسّر على من نفارقهم٢٣.ومن مواضع الشكوى من البعد التي نجدها في شعر الرَّمادي ما يلي:

١- البعد عن الحبيب:أن الشكوى كما قلنا سابقاً موجودة منذ القدم، ولا يخلو كل شاعر من شكوى التوجع، أما أن يكون التوجع على حبيب أو فراق من نحب أو التوجع على النفس، وعند قراءة أشعار الشاعر الرَّمادي وجدته يقول:

ولمّا رأيت الشمسَ تأفُلُ بالنوى　　دعوتُ فلم أُمنحْ إجابة يوشعِ

كأن النّوى قد أوجعت باجتماعنا　　فبنّا فنالت برئها من توجُّعي٢٤

يعبّر الشاعر عن حزنه العميق لفراق محبوبه أو موطنه، مستخدمًا صورة الشمس التي تأفل (تغيب) كرمز للأمل الذي يختفي بسبب النوى (البُعد). ثم يوضح خيبة أمله في عدم استجابة دعائه، مستحضرًا (يوشع) في إشارة إلى النبي يوشع بن نون الذي أرتبط اسمه بالاستجابة الإعجازية حين أوقف الشمس.رغبة المحب باستمرارية اللقاء وديمومته عبر إعادة الزمن إلى الوراء دعته إلى اللجوء إلى التناص الديني عبر استحضاره معجزة يوشع النبي بدعائه الذي استجاب الله له فعادت الشمس إلى كبد السماء لقتاله العمالقة، هذا المحب الآن يخبرنا أنه عاجز عن القيام بذلك مع لحظات ميل الشمس نحو الغروب وإيذانها بانتهاء اللقاء مع من يحب، لقاء الأحبة هي لحظات لا يرغب فيها الأحبة بانتهائها، أو انقضائها؛ لأنها لحظات للراحة والأمان وشاعرنا في لقائه من يحب جعل من النوى (البعد) أنسأناً يتألم لاجتماع هذين الحبيبين وقد ارتاح مع افتراقهما عن بعضهما البعض فنال بذلك ما يريد من تفريق الأحبة وكسر قلوبهم بالبعاد والتفرّق.فشكوى البعد في هذه الأبيات يصيغها الشاعر الرَّمادي بمقدرة فنية عالية مزج من خلالها ثقافته الدينية الواسعة التي اطلع فيها على معاجز الأنبياء السابقين مع العاطفة التي يحملها في صدره ويعيشها مع من يحب من خلال تلك المقدر العالية على صياغة أبيات شعرية محملة بالمشاعر وبالصور البيانية التي تنقل الأحاسيس إلى معاني مادية يسهل للقارئ لمسها أو تقديرها فصورة غروب الشمس وصورة ردّها من قبل النَّبي يوشع وصورة البعد المتوجّع من لقاء الأحبة وصورة فرح البعد عند افتراقهما تضافرت لصياغة الصورة الأساسية لهذه الأبيات وهي الشكوى من البعد بين المحبين بأسلوب فني لم يسبقه عليه أحد.مستعملاً لنسج هذين البيتين حروف شديدة تكررت مثل حرف التاء (تكرر ثماني مرات تعطي وقعًا قويًا يوحي بالألم العميق وحروفاً مجهورة مثل الميم (تكرر ستة مرات)، النون (تكرر

ثماني مرات)، اللام (تكرر أربع مرات)، تضفي موسيقى هادئة تنسجم مع نغمة الحزن وحروفاً مهموسة مثل حرف الفاء (تكرر ثلاث مرات)، الشين (تكرر مرتين) في توحي بالخبو والانطفاء ينسجم مع صورة الغروب وهنا فأن الاعتماد على تكرار أصوات الهمس والجهر يخلق توازنًا بين الأنين والصراخ المكبوت هذا التكرار يضيف إيقاعاً منتظماً للأبيات، وقد اختار الشاعر بحر الكامل وقافية (العين) مما يضفي جرساً موسيقياً منتظماً وإيقاعاً متماسكاً ٢٥.كما نلمح الجناس بين كلمتي (لما – لم) بين حرف وحرف من النوع المستوفى وفيه زيادة لجمالية النص يمنحه إبداعاً أكثر وتأثيراً على القارئ كمحسن بديعي لفظي يكون عند اتفاق الكلمتين وتشابههما في اللفظ فهو من الحلى اللفظية.

٢– لحظات ابتعاد موكب الأحبة:شكوى الفراق هي تعبير عن الألم واللوعة التي يشعر بها الأنسان عند انفصاله عن شخص عزيز، سواء بسبب البعد الجغرافي أو القدر أو حتى الخلافات، لطالما كانت هذه الشكوى موضوعاً محورياً في الأدب والشعر، حيث يعبّر المحب عن معاناته، حنينه، وتأثير الفراق على حياته، والفراق هو الابتعاد (٢٦)، ونجد هذه الشكوى متجسّدة في شعر الرَّمادي الذي قال عنها مكتوياً بها، إذ يعبر عن ذلك قائلاً:

تَوَلَّت بِهم يَومَ الفراقِ مَطيُّهُم　　بِأَعجلَ مِن خَفقِ الفؤادِ وَأَسرَعِ

كَأَن الحَشا وَالقَلبَ عِندَ تَذَكُّري　　لَهُم وَرقاتٌ في قَضيبٍ مُزَعزَعِ٢٧

يصف الشاعر موقف الوداع من خلال المطي التي يركبها قوم من يحبهم وكيف أدارت رحيلها مسرعةً متجهةً إلى تلك المسافات البعيدة بخطىً متسارعة تفوق سرعة الفؤاد في تلك اللحظة التي أخذ فيها القلب يدق دقاته ويخفق بسرعة وكان جوف المحب وقلبه في تلك اللحظة أشبه ما يكون بوريقات غصنٍ يكاد أن يفقدهن في تلك اللحظة فيعود بلا أوراق تغطيه وحيداً متجرداً من كل دفءٍ يحيط به بعد أن قضى حياته برفقتهم.في هذين البيتين مشهد وداع المحبين عبر الرسم الفني بصور جميلة جليلة اعتمد فيها الشاعر التشبيه التمثيلي حيث شبه صورة سرعة المطايا في الرحيل بصورة دقات القلب المتسارعة التي تنبئ القارئ من خلال الصورة المادية (صورة المطايا المرتحلة) بتلك الأحاسيس المرتسمة من خلال المفردات والمعبرة عما يجول في قلب المحب في تلك اللحظة مستفيداً من مزايا التشبيه للتعريف بحقيقة المشاعر التي يكنها في لحظة إبداع أبياته، يصف فيه لحظة الفراق بحزن وألم شديدين، وهذا تصوير بليغ لشدة الألم والإحساس بالعجز أمام لحظة الوداع التي جاءت بسرعة مباغتة، وكأنها لم تمهل الشاعر حتى ليستوعب ما حدث.كما شبه صورة أحشائه الملتهبة وقلبه المحترق بصورة أوراق الغصن الآيلة للتساقط في تشبيهٍ تمثيلي آخر استطعنا من خلاله إدراك حقيقة ما يعانيه في تلك اللحظة من ألم الفقد الذي قارب فيه من سقوط قلبه من صدره لشدة الشوق والعاطفة الجياشة في تلك اللحظة والتي تشير إلى اقتراب فقده وموته في تلك اللحظة التي أدارت المطايا وجهها نحو مسافات الرحيل. في أبيات الرَّمادي نلحظ تكرار حرف الفاء (ثلاث مرات) وهو حرف مهموس فيه جريان النفس بالحرف عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد عليه في مخرجه رخو يدل على الفصل، كما تكرر لدينا حرف القاف (خمس مرات) وهو حرف شديد يدل على الشدة والقوة والفعالية وفيه يظهر الحرف لانحباس النفس عند النطق به، بالإضافة إلى تلك الغنة التي في قوله (من خفق) التي تأتي بعد النون الساكنة كصوت خفيف يخرج من الخيشوم ولا عمل فيه للسان هذه التكرار وبهذا لنجد التنغيم في هذه الأبيات من النوع العادي التي تحافظ على ذات المستوى من التنبر والنغمات في كلا البيتين.ولحرف العين المجهور المتوسط الشدة لاعتدال الصوت عند النطق به لعدم كمال انحباسه مع حروف الشدة والذي اختاره الشاعر كقافية لأبياته وقد قرنه بحرف الزاي وهو حرف مجهور أيضاً في مفردة (مزعزع) وحرف الزاي متوسط الرخاوة وهكذا بين الحروف الشديدة والمتوسطة الرخاوة المجهورة والمهموسة تتعالى النغمات صعوداً وهبوطاً في إيقاعٍ متميز يمنح الأبيات جرسية موسيقية تطرب لها الأذن وتنصت لها٢٨. وهي القافية المطلقة التي تتجاوز وظيفتها الجمالية إلى وظيفة أخرى وهي الوظيفة الدلالية التي تجعل الإيقاع وسيلة لبلوغ الدلالة ونقل الرسالة وتوصيل المعنى التي تطول فيها النغمة الموسيقية عن طريق إشباع حرف رويها وتمتاز بمد الصوت الناتج عن حركة المجرى، والتي يجعلها الشاعر متنفساً لأحاسيسه ومركناً لشتات أفكاره.وهكذا فأن تصوير الفراق جرى وكأنه لحظة مباغتة وسريعة شكل صدمة للشاعر وسرعة خفقان في قلبه كاد معها يفقد حياته لشدة الاضطراب العاطفي الذي يعيشه في تلك اللحظة، فالفعل (تولّت) يمنح المشهد حتمية الرحيل، وقد اختار الشاعر البحر الطويل المتميز بتكرار تفعيلتين أربع مرات في كل شطر وقد طال بتمام أجزائه متميز بأسلوب خاص وفريد من نوعه، يصور فيه الشاعر حالته من خلال التصوير الحسي والموسيقي ليجعل القارئ يشعر به وكأنه حاضرٌ معه فيخلف بداخله حقيقة الإحساس والمشاعر.

٣– حالة الفؤاد عند البعاد:– وفي موضع آخر يقول الرَّمادي:

مَضتْ فؤادي بَيْن أَحْشَائهِ النّوى　　فهنَّ خلاءٌ بَعْدَهُ كالمعالمِ

كَأن النَّوى لَيْثٌ أُصِيبَ بأَشْبُلِ رأى ثَاره بين الحَشَا والحيازم٢٩

لقد غدا البعاد والفراق يسكن بين أضلاعه بعد أن فارق أحبته وخلفوا مكانهم في صدره فارغاً غادره فؤاده فلم يعد يسكن بين أضلاعه قد أجبره فراق أحبته على الرحيل كحال تلك الأطلال التي تبقى بعد رحيل الأهل عنها خاوية لا حياة فيها وكأن صدره في حالته هذه كالأسد الذي فقد أولاده فاشتعل صدره لهيباً وشوقاً في أحشائه بعد أن كان فرحاً هانئا برؤيتهم حوله فخرجت هذه النار من أنفه تنفث عما يجول في داخله.يشبه الشاعر حالة الفقد والفراق التي أصابته فيجعل من صورة أضلاعه التي هجرها أهلها صورة تشبه تلك الأطلال التي عادت خاوية بعد ذهاب ساكنيها عنها في تشبيهٍ تمثيلي شبه في الصورة بصورة كاشفاً عن حقيقة الموقف الشعوري أو الفني الذي يعانيه في لحظة عملية الإبداع يرسم فيها أبعاد ذلك الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه المشبه والمشبه به لا يبحث في ذلك عن المقارنة بينهما بل يرمي إلى الربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع يكشف جوهر الأشياء.ولتعميق الحالة في ذهن القارئ أكثر وتبيان حقيقة ما يعانيه من ألم البعد نجده يشبه صورة الفراق وأثره في صدره وأحشائه من لهيب ونار أشبه بصورة الأسد الذي فقد أشباله فأخذ نفذ من أنفه ناراً تبين عن لوعة الأحشاء التي يعيشها أيضاً في تشبيه تمثيلي آخر شبه فيه الصورة بصورة في انتفاع باستخدام الكلام في سياق لا يكتفي بالمعاني المعجمية بل يلجأ إلى المعاني التصويري مضيفا عليها إيحاءات ومعان ذات صلة قوية بالوجدان تسهم في نقل الإحساس الحسي إلى أثر مادي ملموس يزيد من وضوح ما يعانيه في داخله ويضعه بين يدي القارئ فيرسم صورة حقيقية برع الشاعر في اختيارها لبساطتها أولاً وإمكانية تخيلها من قبل القارئ ثانيا.وفيها أيضاً جعل من فؤاده شخصاً عبر الاستعارة المكنية فحذف المشبه وأبقى على ما يخصه وهو (المضي) فقد غادر صدره بسب ما أصابه من ألم البعاد والفراق والاستعارة أسلوب بلاغي جمالي يمنح الكلام قوة ويعطيه رونقاً وصورة حسنة وجميلة، حيث أنها تقدم المعنى مجسداً وواضحاً، مما يزيد من الصور الخيالية البديعة في النفس، تمنح الكلام قوة ووضوح وتأكيد وسعة خيال وتشخيص.وقد اختار الشاعر مرة أخرى البحر الطويل من البحور المركبة التي تتكرر فيه تفعيلتين مختلفتين أربع مرات بأسلوب خاص وفريد وقافية حرف الميم المجهور الذي يظهر عند النطق بانحباس النفس لقوة الاعتماد عليه في مخرجة وحروفه وقد أطلق قافيته وهي النغمة الرنانة التي تشدّ ذهن المتلقي إطرابا وإمتاعاً وفي ذلك أثر نفسي ينبثق من كيان الشاعر ينعكس على نفسية المتلقي فهي جزء من فوضى المشاعر ذات دلالة إيقاعية ووسيلة لبلوغ الدلالة ونقل الرسالة وتوصيل المعنى٣٠.نلاحظ أيضاً تكرار حرف النون (عشر مرات) وهو الحرف السائد بوضوح عبر نبرته التي يبرز جزء المنطوق وهو حرف مجهور يظهر من خلال انحباس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه وحروفه متوسط الشد لاعتدال الصوت عند نطقه لعدم اكتمال انحباس النفس يوحي لنا بحجم الأنين والألم، وكذلك حرف الألف (تكرر عشر مرات) وهو الحرف النوراني الذي يطلق النفس معه في لحظة مناجاة روحية مجهور شديد لانحباس الصوت من الجريان عند النطق به لقوة الاعتماد عليه عند خروجه من الفم يضفي إيقاعاً متموجاً يعكس التأوهات العاطفية.البيت يبرز ألم الفراق ببلاغة مدهشة، حيث يستخدم الشاعر صورة الأسد المفجوع ليجسّد شراسة الفقدان، مع موسيقى قوية تتناغم مع العاطفة الجيّاشة. الموسيقى الداخلية والخارجية تعزز وقع البيت، ليترك أثرًا عميقاً في النفس.

٤- الحزن الذي يلف موقف البعدشكوى الحزن هي تعبير عن الألم النفسي العميق الذي يعتري الأنسان نتيجة الخسارة، الفقد، أو خيبة الأمل. وقد كان الحزن موضوعاً أساسياً في الشعر والأدب، حيث استخدمه الشعراء للتعبير عن معاناتهم الداخلية وما يثقل قلوبهم يقول الرَّمادي:

قِفُوا تَشهدُوا بَثِّي وَأنكار لائِمي عَليَّ بُكائي في الرّسوم الطَّواسِمِ

أَيأمنُ أن يَعدو حَريقَ تَنفسي وَإلا غَريقاً في الدُّموع السَّواجِمِ

خُذوا رَأيه أن كأن يَتبعُ كُلَّ مَن يَنوحُ عَلى ألافه بِالملاومِ

فَهَذا حَمامُ الأَيكِ يَبكي هَديلَهُ بُكائيَ فَليفزَع للومِ الحَمائِمِ

وَما هِيَ إلا فرقَةٌ تبعث الأَسى إذا نَزلت بِالناس أو بِالبَهائِمِ

خَلا ناظِري مِن نَومِهِ بَعدَ خلوة مَتى كأن مني النَّومُ ضَربَةَ لازِمِ٣١

يخاطب الشاعر المخاطبين، داعيًا إياهم إلى الوقوف ليشهدوا على ما هو فيه من الحزن والبكاء، في حين أن اللائمين ينكرون عليه هذا الأسى. ويؤكد أن بكاءه ليس بلا سبب، وأنما هو على (الرسم الطواسم)، أي الأطلال المندرسة التي محاها الزمن، والتي كانت يومًا عامرة، (قِفُوا) أمرٌ

يحمل معنى التوسل أو التحدي، وكأنه يقول لهم: لا تحكموا قبل أن تروا بأنفسكم، (تشهدوا بثيٍّ) أي سترون بعينكم صدق مشاعري وأحزاني، (وأنكار لائمي) أي رغم أنكار اللائمين وتعجبهم من بكائي، فأنا لا أعبأ بذلك، (عليَّ بكائي في الرسم الطواسم) يوضح سبب حزنه، فهو يبكي على الديار المهجورة التي زالت معالمها البيت يعكس ألم الشاعر واحتجاجه على أنكار لائميه لحزنه، مستخدمًا أسلوبًا بلاغيًا قويًا ومؤثرًا، مع موسيقى حزينة تتناغم مع المعنى، مما يجعل البيت نموذجًا رائعًا للشعر العاطفي التأملي.وفي البيت الثاني يتحدث الشاعر عن حالته العاطفية الشديدة، متسائلًا كيف يمكن له أن يسلم أو ينجو من شدة معاناته، وهو بين نار تحرق أنفاسه ودموع تغرقه. يصور معاناته الداخلية بين نقيضين قاتلين: الحريق والاختناق من جهة، والغرق في الدموع من جهة أخرى، مما يعكس حجم ألمه العميق، (أيأمَنُ) صيغة استفهامية تحمل معنى التعجب والاستنكار، أي كيف له أن ينجو؟، (أن يعدو حريقَ تنفسي) يشبه ما يعانيه في صدره بحرائق تشتعل، وكأنه يتنفس اللهب، (وإلا غريقاً في الدموع السواجمِ) أي أنه أن لم يحترق بنار الألم، فأنه سيغرق في دموعه المنهمرة (السواجم)، البيت يعكس حالة وجدانية شديدة التوتر، حيث يصور الشاعر معاناته بين نار الاختناق وأمواج الدموع، مستخدمًا لغة قوية وصورًا بلاغية مؤثرة، مع موسيقى حزينة تعزز التأثير العاطفي للبيت. وفي البيت الثالث يخاطب الشاعر المخاطبين بنبرة ساخرة أو معاتبة، قائلًا أنه إذا كان الشخص يأخذ رأي من يتبع كل نائح على الفقد والخراب (الآفة) لمجرد أن الآخرين يلومونه، فليأخذوا رأيه إذن!، (خذوا رأيه) أمر يحمل معنى السخرية، أي إذا كان رأيه يعتمد على اتباع من ينوح، فخذوه أن شئتم!، (أن يتبع كل من ينوح على الآفة بالملاومِ) يشير إلى شخص متأثر بآراء الآخرين، حيث يصدق كل نائحة على المصائب لمجرد أن الناس يلومونه، دون تفكير مستقلّ، البيت يلمح إلى التهكم على من يتأثر بكلام الناس ولا يكون له رأي مستقل، البيت يستخدم نبرة تهكمية لنقد من لا يملك رأيًا مستقلاً، بل يتبع كل نائحة على المصائب لمجرد أن الناس يلومونه. يعتمد على أسلوب الشرط والسخرية، مع موسيقى متناسقة بين القوة والسلاسة، مما يجعله مؤثرًا في توجيه النقد بأسلوب بلاغي بارع.وفي البيت الرابع يصور الشاعر حزنه العميق من خلال تشبيه نفسه بالحمام الذي يبكي عبر هديله، وكأنه يقول: إذا كنتُ أبكي فأنا لستُ الوحيد، حتى حمام الأيك يبكي أيضاً، فلماذا يلومني اللائمون؟، (فهذا حمام الأيك يبكي هديلهُ) تصوير للحمام وهو ينوح بصوته الحزين، وربطه بحالة الشاعر الباكية، (بكائي فليفزع للوم الحمائم) يشير إلى أن اللائمين عليه في بكائه عليهم أن يلوموا الحمام أيضاً، لأنه يشارك الشاعر في الحزن، يستخدم الشاعر هنا أسلوب الاستفهام الضمني والاحتجاج، موحياً بأنه ليس وحده في حزنه، بل الطبيعة من حوله تشاركه هذا الألم، البيت يعكس لوعة الحزن التي يشعر بها الشاعر، مستخدمًا تشبيهًا خفيًا بين نفسه والحمام، مع لغة موسيقية هادئة تتناغم مع المعنى الحزين، وبلاغة تعتمد على الاستعارة والاحتجاج غير المباشر، مما يجعل البيت مؤثرًا وعاطفيًا للغاية.وفي البيت الخامس يصف الشاعر في هذا البيت أثر الفراق، موضحاً أنه ليس مقتصراً على البشر وحدهم، بل أنه مصدر حزن وألم لكل المخلوقات، حتى البهائم تتأثر به، (وما هي إلا فرقةٌ تبعث الأسى) الفراق (الفرقة) هو سبب مباشر للحزن والهمّ، حيث يجلب الأسى لكل من يعانيه، (إذا نزلت بالناس أو بالبهائمِ) يؤكد أن الفراق لا يؤلم البشر فقط، بل حتى الحيوانات تعاني عند فقدان رفاقها، البيت يعكس عالمية الحزن الناتج عن الفراق، فهو لا يقتصر على البشر بل يمتد إلى كل المخلوقات، مما يعزز الشعور بمدى قسوته. استخدم الشاعر أسلوب القصر، الاستعارة، والتشخيص ليعطي تأثيرًا عاطفيًا قويًا، مع إيقاع موسيقي هادئ يعكس الحزن العميق.وفي البيت السادس يتحدث الشاعر عن معاناته من السهر وفقدان النوم بسبب الهموم والأحزان، (خلا ناظري من نومه بعد خلوة) أي أن عينيه فقدت النوم بعد لحظة من العزلة أو الوحدة، في إشارة إلى الأرق الذي أصابه، (متى كان مني النوم ضربة لازمِ) تعجب واستنكار، حيث يتساءل متى كان النوم أمراً حتمياً له، فهو لم يكن معتاداً عليه، بل كان دائم المعاناة مع الأرق، الشاعر يعبر عن الأرق الناتج عن الهم والحزن، ويشكك في فكرة أنه كان ينام بسهولة في الماضي، وكأنه لم يكن كذلك أبداً، البيت يصور معاناة الشاعر مع الأرق والهموم، مستخدمًا أسلوب الاستفهام الاستنكاري ليعبر عن استغرابه من فكرة النوم وكأنه لم يكن يعرفه يومًا. يتميز البيت بإيقاع موسيقي متوازن بين القوة والضعف، وبلاغة تعتمد على الجناس والتقديم والتأخير، مما يجعله مؤثرًا في التعبير عن القلق والحزن.يبدأ الشاعر أبياته بالتصريع البداية (لائمي – الطواسمِ) وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وعجزه في الوزن والروي والإعراب وهو أسلوب درج عليه الفحول من الشعراء في إشارة منهم إلى أنهم ينظمون أبياتهم على النمط الخليلي العربي الأصيل ينبه الأسماع عبر إيقاعه ونغمته الموحدة على أن القصيدة موزونة مقفاه يثبت من خلالها الشاعر تمكنه من مفاتيح قصيدته ومقدرته على نظم هذا النوع الجليل من الشعر٣٢.وقد اختار الشاعر البحر الطويل هنا أيضاً في نظم أبياته الذي تتكرر فيه تفعيلاته أربع مرات متميزاً بأسلوبه المميز والفريد وتردد نغماته الإيقاعية بتوازن وتنسيق جميلين وقد اختا لقافيته حرف الميم وهو حرف مجهور متوسط الشدة يعتدل صوت الناطق به عند خروجه من الفم وقد أطلق قافيته مبتعداً عن التقييد لأنها الأكثر قدرة على توصيل المعنى حيث تطول فيها النغمة الموسيقية عن طريق إشباع حرف رويها، وتمتاز بمد الصوت الناتج عن حركة المجرى.يعتمد الشاعر في أبياته على الصورة الحسية وخاصة البصرية لوصف حالته من خلال دعوته

صحبه للوقوف والمشاهدة بأم العين ليروا حالة المضنى بسبب البعاد وهو يكتوي بنار الفراق (حريق تنفسي) أو منسكب الدموع من عينيه أملاً وشوقاً لمن فقده (غريقا في الدموع) هذه الصور الحسية الجزئية التي رسمت حالة الشاعر بعد فراق أحبته هي صورة من صور أخرى رسمها الشاعر ليصف لنا حالته وشكواه من البعاد والفراق عن الأحبة.وفي تشبيه صورته وهو الجالس يبكي أحبته تشبيه بصورة ذلك الحمام الذي يبث هديله في تشبيه تمثيلي لصورة بصورة ينقل فيها القارئ إلى صورة مادية يمكنه رؤيتها بسهولة تشبه حالته التي يعيشها ومن خلال التشبيه أخرج جوهر ما يسكنه في داخله وعميق مشاعره من الأحاسيس إلى الوسط المادي الذي يمكن إدراكه وبالتالي مشاركته في حالته الشعورية العميقة التي يعيشها في لحظة إبداع قصيدته.وفي سخريته من صحبه الذين يلومونه فأنه يذكرهم بأن البهائم في ذاتها تشعر بالحزن والأسى عند فقدها كل عزيز عليها فالفراق يبث الحزن والأسى في قلب كل كائن مسجلاً استغرابه منهم كيف يلومونه أو يعبون عليه هذا التفجع والأسى على فراق من يحب.تكرر حرف الواو (١٧ مرة) في هذه الأبيات وهو حرف مجهور ينحبس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه ينخفض اللسان عند نطقه يدل على الوحدة والوجع، وكذلك تكرار حرف الياء (عشرون مرة) وهو حرف مجهور أيضاً منفتح يدل وروده على الانفعال وعدم البوح بالمشاعر لفقدان الثقة وقد يدل على الضياع والخسارة، وكذلك حرف الميم وهو الحرف الممثل للقافية الموحدة للأبيات الشهرية التي اختارها الشاعر لنظم قصيدته على البحور الخليلية وبالتالي نجد أنه اختار الحروف المجهور التي تعطي إظهاراً واضحاً لها عند النطق فيبرز جزؤها المنطوق في أثرٍ موسيقي إيقاعي يزيد من جرسية النغمات الصادرة عن الأبيات وتطرب الأذن السامعة نظراً لوضوحا ونبرتها المميزة عن الحروف المهموسة.

٥- البعد عن الصديق:- وفي موضع آخر يقول الرَّمادي:

لمّا تَهَدَّدَني نصيرٌ بالنّوى ... أُفْزِعْتُ من نَأيٍ الى هجران

فكأنني في ذا وذلك حائرٌ ... قد فرَّ من أَسَدٍ إلى ثُعْبان(٣٣)

في البيت الأول يعبّر الشاعر عن خوفه من التهديد بالفراق، حيث يخبرنا أن شخصاً يدعى (نصير) قد توعّده بالنوى (الابتعاد)، فكانت ردة فعله خوفًا شديدًا حتى أنه أنتقل من مجرد التفكير في البعد (النأي) إلى الخشية من الهجران التام، الذي هو أشدّ قسوة. يوحي البيت بشدة التعلق والرهبة من الانفصال، إذ أن مجرد التهديد بالبعد جعله يشعر وكأنه في مواجهة هجر كامل، البيت يحمل مشاعر خوف وقلق متزايد من الفراق، مع تناغم بين الألفاظ والموسيقى التي تعكس هذه المشاعر. الجمع بين التهديد والفزع والتصاعد من النأي إلى الهجران يجعل البيت معبّراً بعمق عن رهبة الانفصال.وفي البيت الثاني يصف الشاعر حالة من الحيرة واليأس، حيث يجد نفسه في موقف يشبه الفرار من خطر عظيم (الأسد) إلى خطر آخر لا يقل سوءاً (الثعبان). يشير البيت إلى استحالة إيجاد مخرج آمن، فكل الخيارات المتاحة تحمل ضرراً شديداً، مما يعكس شعوراً بالعجز والضياع إمام المصير المحتوم. البيت يصور مشهدًا درامياً مؤلماً يعكس حالة العجز واليأس من إيجاد مخرج آمن، مع توظيف موسيقى داخلية وخارجية تعزز الشعور بالخوف والحيرة. البلاغة في التشبيه والمفارقة تجعل المعنى أكثر تأثيرًا في المتلقي.يعتمد الرَّمادي في هذين البيتين على البحر الكامل وتفعيلاته وهو أحد البحور العربية الصافية وأكثرها استعمالاً وقد اختار لقافيته حرف النون المطلق وهو حرف مجهور ينحبس النفس معه عند النطق به لقوة الاعتماد عليه في مخرجه وحروفه متوسط الشدة يعتدل الصوت عند النطق به فانحباس الهواء غير مكتمل وقد اختار القافية المطلقة وهي الركن الأساس المهم حيث تمثل الوقفة التي يجعلها متنفساً لأحاسيسه ومركناً لشتات أفكاره تتجاوز وظيفتها الجمالية إلى وظيفة أخرى دلالية تطول فيها النغمة الموسيقية عن طريق إشباع حرف رويها، تمتاز بمد الصوت الناتج عن حركة المجرى.يشبه الشاعر حالته التي من خلالها ابتلي بخوفه من فراق وابتعاد صاحبه نصير وما أن اطمأن إلى عدم ابتعاده قام بهجرانه هذه الحالة يصورها عبر التشبيه التمثيلي بصورة الهارب من الأسد خوف الافتراس حيث النهاية محتومة إلى مواجهة ثعبان لا يؤتمن جانبه فتغدو الخاتمة واحدة وبهذا نجد الشاعر كيف لجأ إلى هذا النوع من التشبيه في رسم صورة ما يعانيه من خلال التشبيه التمثيلي ونقل الأحاسيس إلى الأوساط المادية التي يسهل على القارئ رسمها وصياغتها في ذهنه بقليل من إعماله ليقف على حقيق الموقف الشعري الذي يقفه الشاعر في لحظة إبداعه هذا الأبيات التي لا يجد فيها الفرق بين البعاد والهجران إلى ذلك الفرق بين الموت بين أنياب الأسد أو الموت بين أنياب الثعبان، معبراً عن حيرته التي وقع فيها جراء ما جرى بينه وبين صاحبه نصير.

في هذين البيتين نجد تكرار حرف النون (ثلاث عشرة مرة) وحرف النون حرف مجهور متوسط الشدة يعتدل الصوت عند نطقه لعدم انحباس الهواء في الفم بصورة كاملة، مع تكرار حرف الألف (١١ مرة) وهو الحرف النوراني الذي يدل على إطلاق النفس عند المناجاة ليريح أنفاس الصدر من حر الأشواق التي تسكنه مبرزاً ألمه، يضيف امتداداً صوتياً يعكس الشعور بالاستمرار في الحزن والخوف المرتسم نتيجة البعاد الذي يخافه على صاحبه أو هجرانه.

الخاتمة وأهم نتائج البحث:

فيما يلي النتائج المستخلصة من البحث حول (شكوى البعد) ويتناول البحث موضوع الشكوى البعد في شعر يوسف بن هارون الرَّمادي، حيث يعبر عن معاناته من صعوبة الحياة، الفقر، الجهل، والغربة، ونستخلص تلك النتائج:

•عدد الأبيات المتعلقة بالشكوى تم تحديد ثمانية عشر بيتًا في شعر الرَّمادي تتناول موضوع شكوى والفراق والمعاناة التي كان يعيشها في مجتمعه.

•شير إلى تأثر الشاعر بالظروف الاجتماعية لعصره، حيث اشتكى أيضًا من نفاق الناس والشوق للحبيبة، بالإضافة إلى الفراغ والتهديدات التي واجهها في حياته. استخدم الشاعر لغة فصيحة وصورًا شعرية إبداعية في التعبير عن شكوى البعد.

•أسباب شكوى البعد في شعر الرَّمادي تتنوع بين المشاعر الداخلية للشاعر والظروف الاجتماعية التي عايشها، كما استخدم الرَّمادي صورًا شعرية قوية، واستعارات مبتكرة لتجسيد معاناته. ولجأ إلى التشبيه البليغ والاستعارة المجسدة لإبراز شدة الفراق والضياع، كما في تصويره سرعة الرحيل كأنها أسرع من خفقان القلب. استطاع الرَّمادي تحويل الألم الشخصي إلى تجربة شعرية متكاملة تحمل بعدًا أنسانيًا عاما.

•استخدم الرَّمادي بحورًا شعرية تتناسب مع طبيعة الشكوى، حيث اختار الأوزان التي تعكس الاضطراب والقلق. تكرار الحروف الحادة مثل (الطاء والقاف والكاف) منح شعره إيقاعًا قويًا يعكس العنفوان، بينما أعطت الحروف اللينة مثل (الميم والنون) إحساسًا بالسلاسة والانسيابية، استخدم تكرار الحروف والصوتيات مثل (القاف والفاء والخاء) لإضفاء نغمة حزينة على قصائده. كانت الشكوى في شعره متجذرة في تجربته الحياتية ولم تكن مجرد عنصر زخرفي أو تقليد أدبي.

•ساهمت أشعار الرَّمادي في ترسيخ نمط الشكوى في الشعر الأندلسي، حيث امتد تأثيره إلى شعراء آخرين في عصره. كما تعد شكواه نموذجًا للتعبير عن المعاناة الفردية ضمن السياق الأوسع للمجتمع الأندلسي في ذلك العصر. أن الشاعر لا يكتفي بوصف الحزن بل نجد الدلالات العاطفية والنفسية لشكوى البعد ويصورها كمحنة نفسية تتجلى في تردد الأفكار بين الهروب والبحث عن الخلاص. أثر البيئة الأندلسية في تعزيز شكوى البعد اذ أن شكوى الرَّمادي تتجاوز الفراق العاطفي إلى الشكوى من الواقع الاجتماعي، حيث يبرز إحساسه بالغربة في مجتمعه.

•الموسيقى الشعرية وتأثيرها على إيصال المعنى نجد تكرار بعض الحروف مثل (الراء والعين) يخلق إيقاعًا يوحي بعدم الاستقرار والاضطراب العاطفي. القافية المكسورة تمنح النص وقعًا حزينًا، مما يزيد من التأثير العاطفي لشكوى البعد.

•توظيف المدود الصوتية يمنح الإيقاع امتدادًا موسيقيًا يزيد من الإحساس بالحزن واللوعة.

•أن قصائده تعكس شعورًا بالخوف من النسيان والتغير، مما يوحي بقلقه العميق من التحولات الاجتماعية.

•التحليل البلاغي والتصوير الفني في شكوى البعد نجد استعارة الرحيل كأنه (أسرع من خفقان القلب) تعكس الصدمة النفسية التي يمر بها الشاعر. الاعتماد على حروف قوية مثل (القاف والطاء) يعزز الإحساس بالحزن العميق والتوتر. التباين بين القوة والضعف في شعر الشكوى والتلاعب بين حروف القوة مثل (القاف، الطاء، الكاف) وحروف الضعف مثل (الهاء، السين، الفاء) يمنح النص بعدًا صوتيًا يعكس صراع الشاعر بين التماسك والانكسار.

•البعد الفلسفي في شكوى الرَّمادي يرى الرَّمادي أن الفراق ليس مجرد تجربة عابرة، بل هو قدر محتوم يلاحق الأنسان ويجعله دائمًا في حالة فقد. ويستخدم أسلوب المفارقة ليؤكد أن الفراق أحيانا قد يكون أفضل من اللقاء، وهو مفهوم يتكرر في بعض أشعاره، كما استخدام المفارقة بين (الهروب من الأسد إلى الثعبان) يعكس حالة من التيه، حيث يستبدل الشاعر خطراً بآخر، مما يبرز إحساسه بالضياع.

أن هذه النتائج تعكس عمق تجربة الشاعر الرَّمادي في شكواه من البعد، وتظهر كيف تفاعل مع بيئته وثقافته ليجسد إحساسه بالغربة والفقدان، وأن الفراق واقع لا محال سوء بالابتعاد أو بظروف الحياة الاجتماعية.

هوامش البحث:

١ . احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في الكتاب المكنون ، تح: احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ طبع ، ١٧٦٩/١.

٢ . الالوسي ، روح المعاني ، دار الفكر بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج١ ، ص ٢٢٤.

٣ . سورة يوسف: اية ٨٦.

٤ . ابي محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل محيي السنة: محي السنة، تح: احمد محمد، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م، ٢٦٥/٧.

٥ خير الدين الزركلي ، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط ١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج ٨، ٢٠٠٢، ص ٢٥٥

٦ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م، ص ٢٨٤٩

٧ الضبي، أحمد بن يحيى ،. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م، ص ٤٩٣

٨ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، دار الكتاب المصري، القاهرة ،١٩٨٩ م، ص ٩٦٩

٩ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢ م، ص ٢٢٧

١٠ إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي : عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧، ص٦٣

١١ ماهر زهير جرّار، شعر الرمادي يوسف بن هارون، ص٨٣.

١٢ تمام حسان ، البيان في روائع البيان ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، ص١٠٢

١٣ عبد العزيز عتيق ، الغزل في الشعر الأندلسي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٠ ، ص١٢٧

١٤ عبد العزيز عتيق ، الغزل في الشعر الأندلسي ، ص١٣٠

١٥ عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، الأدب في الأندلس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٨١ ، ص٢١٥

١٦ عمر فروخ ، الأدب في الأندلس ، ص ٢١٦

١٧ عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤ ، ص٩٢

١٨ إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩١ ، ص٢٦٥

١٩ عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤ ، ص٩٧

٢٠ محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٧ ، ص٢١٥

٢١ حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، دار الجبل ، بيروت ، ط٢٣ ، ١٩٩٥ ، ص٧٢٣

٢٢ تمام حسان ، البيان في روائع البيان ، دار الثقافة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، ص١٨٧

٢٣ عمر فروخ ، الأدب في الأندلس ، ص ٢١٠

٢٤ . ماهر زهير جرّار، شعر الرمادي يوسف بن هارون، ص٨٣.

٢٥ – سلمان علي جاسم، موسوعة معاني الحروف العربية، الأردن: دار أسامة،٢٠٠٣م ، ص ١٩٦.

٢٦ . إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ج٢، ص٦٨٥.

٢٧ . ماهر زهير جرار، شعر الرمادي: ص٨٣_ ص٨٦.

٢٨ – موسى ربابعة، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، دار المنظومة،١٩٩٠م، ص٦٠

٢٩ . ماهر زهير جرار، شعر الرمادي: ص١٢١.

٣٠ – – جورج مارون، علم العروض والقافية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٨ م ، ص ٢٥٦.

٣١ . ماهر زهير جرار، شعر الرمادي: ص١٢٠_ ١٢١.

٣٢ – المراغمي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، بيروت المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م، ص١٦٩

٣٣ . شهر الرمادي: ماهر زهير جرار، ص١٢٩.

المصادر :

القران الكريم

١.ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، دار الكتاب المصري، القاهرة،١٩٨٩ م.

٢.ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢م.

٣.أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل محيي السنة: محي السنة، تح: أحمد محمد، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م.
٤.إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.
٥.إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط٤، ١٩٩١م.
٦.أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدرر المصون في الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ طبع.
٧.الألوسي، روح المعاني، دار الفكر بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٨.تمام حسان، البيان في روائع البيان، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.
٩.جورج مارون، علم العروض والقافية، المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٨م.
١٠.حسن حبيب عزر الكريطي، الشكوى في شعر الأخطل، مقالة، أهل البيت عليهم السلام، العدد ٢٤.
١١.حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دار الجبل، بيروت، ط٢٣، ١٩٩٥م.
١٢.خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ج٢٠٠٢،٨م.
١٣.سلمان علي جاسم، موسوعة معاني الحروف العربية، الأردن، دار أسامة، ٢٠٠٣م.
١٤.الضبي، أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. دار الكاتب العربي، ١٩٦٧ م.
١٥.عبد العزيز عتيق، الغزل في الشعر الأندلسي، مكتب النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م.
١٦.عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٧.عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب في الأندلس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٧، ١٩٨١
١٨.ماهر زهير جرّار، شعر الرَّمادي يوسف بن هارون شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
١٩.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ط٥، ١٩٨٧م.
٢٠.المراغمي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، بيروت المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م.
٢١.موسى ربابعة، التكرار في الشعر الجاهلي دراسة أسلوبية، دار المنظومة، ١٩٩٠م.
٢٢.ياقوت الحموي، معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣ م.